CC BY

التصوُّر الغربيّ للثورات في العالم الإسلاميّ- دراسةٌ تحليليةٌ في الفكر الفلسفيّ السياسيّ لبرنارد لويس

حسين ذنون سليم محمَّد العلَّاف *

تأريخ التقديم: 2022/10/3 تأريخ القبول: 2022/10/15

المستخلص:

يُعدُّ برنارد لويس من أَبرز أَعلام الاستشراق (الإنجلو-أمريكي) وله كتابات عن التاريخ الإسلامي والحركات الإسلامية، واكتسبت كتاباته عن العرب والإسلام خصوصية في العالم الغربي، وفي الدراسات الاستشراقية والسياسية.

وكان موضوع الثورة في العالم الإسلامي من أَبرز طروحاته التي سعى في بعض من جوانبها تحديد العلاقة بين الشرق والغرب بصورة عامة والإسلام والغرب بصورة خاصة؛ إذ انطلق في تحليله لمفهوم الثورة في العالم الإسلامي من خلال تتبعه في أدبيات الحركات الإسلامية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي والحركات الإسلامية المعاصرة، وامتازت معلوماته بالسعة والدراية الفكرية، لكنها في المقابل امتازت بالتعميم، وهذا يعود إلى الانتقائية التي حدثت في منهجية الاستشراق بشكل عام تماشيًا مع التوجهات الأَساسية وليس الأكاديمية؛ إذ ساعدت بعض شبكات الإعلام في الغرب على ترويج طروحات لويس التي صارت تغطي معظم إنحاء العالم مستفيدة من ثورة المعلومات والاتصالات عالية التقنية الَّتي ركزت على فكرة مستنبطة من لويس مفادها أَنَّ الإسلام هو العدو القادم الذي يهدد العالم.

الكلمات المفتاحية: ملامح، اقتصادية، قوانين الدواوين، ابن مماتي.

المقدمـــة:

احتلَّت دراسة الثورات في العالم الإسلامي أهميـــة كبيـــرة مـــن المستشـــرقين، وكثيرًا ما نشأت هذه الدراسات في سياق المناقشات العلمية من أجل تحديـــد العلاقـــة

* مدرس/قسم الفلسفة/كلية الآداب/جامعة الموصل.

بين الإسلام والغرب محاولين تتبع مسارها التاريخي والديني والسياسي، فسعوا إلى القراءة والتحقق من كل ما كتب في الموروث الثقافي الإسلامي، وإذ كانت الحضارة الإسلامية والدين الإسلامي والثورات التي وقعت في التاريخ الإسلامي من أبرز الموضوعات التي شغلت أذهان المستشرقين المعاصرين.

فقد كان لبرنارد لويس اسهامات في مثل هكذا مواضيع، إذ تناول الثورات في العالم الإسلامي في إطارها الواسع، وفي اتجاهات عدة. انطلاقا من التحليل التاريخي للحركات الثورية الإسلامية، والذي بين فيها الثورات الأَوَّلى التي وقعت في التاريخ الإسلامي، وتحليله لمفهوم الثورة من منطلق إجرائي ومعياري، وتشبيه الثورات المعاصرة بالثورات التي وقعت عبر التاريخ، وصولاً إلى إعطاء الصفة الكونية للثورات الإسلامية، وكشف التوجهات الثورية للعالم الإسلامي المعاصر، الَّتي باتت ضرورة دينية وعلمية وسياسية بالنسبة لصناع السياسة العالمية.

فمن أَبرز الأفكار التي حاول لويس طرحها في موضوع الثورة في الإسلام هي: إن الإسلام فكراً ووجوداً خطراً على الحضارة الغربية، وإن الإسلام بالنسبة للمسلمين هوية وإنتماء ونمط عيش، وإن الإسلام سوف يظل المعيار للتماثل والهوية العامة وتحديداً هذا ما تعلمته التيارات المتشددة في الغرب من لويس الذين تأَثَّروا بطروحاته اتجاه تعاملهم مع العرب والمسلمين.

مشكلة البحث وأهميته:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤل الآتي: هل تعرضت دراسة الثورة في الإسلام عند بعض المستشرقين إلى القراءة الايديولوجية من أجل تشكيل وعي جمعي لدى المتلقي الشعبي والنخبوي بأن الدين الإسلامي هو الخطر الذي يهدد الغرب، وإن الدين الإسلامي هو دين الاستبداد، وينعدم فيه روح الابداع والتطور ويعتمد على التقليد؟

وبهذا تعتمد أهمية البحث على تقديم صورة لفهم التصور الغربي للثورات في العالم الإسلامي من خلال طروحات المستشرق برنارد لويس.

منهجية البحث:

اعتمد البحث على منهج التحليل النقدي من أَجل بيان المضمون والاهداف المتوخاة من طروحات لويس فيما يخص دراسة الثورات في العالم الإِسلامي، واستند البحث أَحياناً على المنهج التاريخي المقارن من اجل الاستشهاد بالحقائق التاريخية التي استخدمها لويس كشواهد وامثلة لطروحاته الفكرية.

المبحث الأَوَّل

ثورات العالم الإِسلامي قراءة معاصرة للتاريخ من منظور برنارد لويس

المطلب الأَوَّل: التحليل التاريخي للثورات في العالم الإِسلامي

انطلق التحليل التاريخي لدراسة الثورة(*) والحركات الثورية التي وقعت في التاريخ الإِسلامي عند برنارد لويس(**) من وضع الأُطر العامة لمفهوم الثورة في

(*) الثورة: هي انقلاب جذري في حياة المجتمع يؤدي الى قلب النظام الاجتماعي وتوطيد نظام تقدمي جديد ناقلة السلطة من ايدي طبقة رجعية الى طبقة تقدمية ويتم هذا الانتقال عبر نضال طبيعي حاد غالبا ما يأخذ شكل حرب اهلية , ولا يمكن ان تسمى كل اطاحة بالقوة لطبقة ما من قبل طبقة اخرى ثورة , فمفهوم الثورة يعني مجيء طبقة تقدمية الى السلطة تفتح طريق الطور التقدمي للمجتمع وتعرف الثورة بانها ايضا عمل من اعمال العنف, ويتخذ شكل نضال مسلح يقوم به جانب من الشعب في وجه حكومتهم خروجا على قوانينها مما يعرقل ممارستها لسيادتها. ينظر: زيتون، وضاح, المعجم السياسي، دار المشرق، عمان، الأردن، 2010م, ص111.

(**) –ولد برنارد لويس في 31 مايو 1916م وتلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية إذ أكمل دراسته الثانوية فيها. أما دراسته الجامعية فكانت في جامعة لندن، إذ درس التاريخ الاسلامي واهتم في نفس الوقت بدراسة اللغة العربية واللغات السامية وبعد حصوله على درجة البكالوريوس من جامعة لندن. انتقل الى باريس لينال فيها دبلوم الدراسات السامية وفي هذه السنة تتلمذ على يد ماسنيون وغيره من المستشرقين الفرنسيين، بدأ لويس حياته العلمية مدرساً في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن، ولم يمضِ وقت طويل حتى وقعت الحرب العالمية الثانية فاستدعي لأداء الخدمة العسكرية في الجيش البريطاني 1940–1945م، وفي عام 1941م ارتبط بوزارة الخارجية البريطانية حتى عام 1945م، إذ عاد بعدها الى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية لتدريس التاريخ الاسلامي، وأصبح استاذاً لتاريخ الشرق الادنى والشرق الأوسط 1949م، وكان عمره آنذاك واحد وثلاثون عاماً، وبعد ثمان سنوات من التدريس عين رئيساً لقسم التاريخ، وظل رئيساً لهذا القسم حتى غادر لندن للعمل في جامعة بريستون في الولايات المتحدة الامريكية استاذاً للتاريخ الاسلامي في قسم دراسات الشرق الادنى اعتباراً من سبتمبر 1974م،

الإسلام، وكانت ذا بعد منهجي ساعده في ذلك انه مؤرخ من الطراز الأَوَّل ويملك القدرة على التحليل النصوص التاريخية, ويضاف إلى ذلك الغرض الجدلي لا العلمي في تقديم مفهوم الثورة في الإسلام .

بخصوص رؤيته عن الثورة في الإسلام يقول: "شهد القرن الأَوَّل من التوسع الإسلامي ثورات كثيرة ادت إلى تعظيم الشكاوي التي عبرت عن نفسها بالثورة"[1].

وأشار إلى "ان أَوَّل ثورة في العالم الإسلامي هي ثورة الحسين (ﷺ) الَّتي من خلالها واجه الحسين وعائلته قوة اموية كبيرة وقتلوا جميعاً بدون شفقة, والذين كانوا أكثر من سبعين شخصا, ونجا منهم صبي, وهو علي ابن الحسين(Ali Binhussein) وترك في احدى الخيم"[2].

وأَضاف أنّ هناك تحولاً آخر حصل في نهاية القرن السابع الميلادي وبداية الثامن في عام (685م) قاد قائد عربي يُسمّى المختار (Al-moctar) من الكوفة عرفت ثورته بثورة محمد بن الحنفية (Mohammed bin Hanafi) [*] الذي كان على حد قوله الامام (Imam) أي القائد الفعلي

وأصبح مواطناً امريكياً بعد حصوله الجنسية الامريكية عام1982م، وبعد وصوله سنّ التقاعد عام 1986م عين مديراً لمعهد انتبرج للدراسات الأدبية ودراسات الشرق الأدنى، وهو معهد مخصص لدراسات ما بعد الدكتوراه في مدينة فيلاديفيا بولاية بنسلفانيا الأمريكية الى ان وفاه الأجل عام 2017م. ينظر: مطبقاني، مازن صلاح، منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الاسلامي، المملكة العربية السعودية، الناشر: جامعة الامام محمد بن سعود، الرياض،السعودية،ط1، 1999م ص58–60.

[1] لويس، برنارد، الحشاشون فرقة ثورية في الاسلام، تعريب: محمد الغرب موسى، مكتبة مدبولي، مصر– القاهرة، ط2، 2006م، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص34.

[*] محمد بن الحنفية: أبو القاسم محمد بن علي بن ابي طالب (ﷺ) الهاشمي القريشي، وامه خولة بنت جعفر فينسب إليها تمييزاً عن اخوانه الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يكنى ابو القاسم، حيث اذن رسول الله (ﷺ) لولد من علي بن أبي طالب ان يسمى باسمه ويكني بكنيته ولد سنة احدى وعشرين للهجرة، وهو احد الابطال الاشداء كان ورعاً واسع العلم، ينظر: الدجيلي احمد، المختار الثقفي، مكتبة النجف،العراق،النجف،ط1، 1955م،ص 11–20.

للمسلمين, وهزم المختار, وقتل عام (687م), لكن ثورته بقيت قائمة, وكان من يقول ان الامامة انتقلت إلى ابنه , وادعى اخرون انه لم يمت لكنه اختباء في الجبال قرب مكة, ومن هنا وعندما يشاء الله سيعود وينتصر على اعدائه , وهذا الامام يدعى المهدي(Al-Mahdi)[1].

وأَكَّد أَنَّ هذه المواقف وضعت الاطار العام لمجموعة من الحركات الثورية الدينية, إذ هناك شخصيات رئيسة في كل حركة وهو الامام , والذي يتمثل بالمهدي, وهو الزعيم الحقيقي الذي سيأتي ليقضي على الطغاة , ويسعى لإقامة الحق والعدالة, وهو الذي ينظم مؤيديه ويقودهم إلى النصر أَو الشهادة [2].

ومن هنا توصل لويس بان الإسلام اعترف بالثورة بقوله : "من هنا جاء إقرار التراث الإسلامي بالثورة المشروعة"[3] وسرعان ما وجد مثلهم في العصر الحديث وامتدت المتغيرات الكبرى في هذا العصر بأسباب جديدة وبأَحلام جديدة تبحث عن تحقيقها برؤية جديدة [4] إلى ان هذه المرحلة تُعدّ مرحلة من مراحل تطور فكره السياسي وتصوراته عن التاريخ الإسلامي.

أَمَّا من ناحية أُخرى :- فإنَّ الغرض الجدلي لا العلمي الذي قدمه لويس في مقالته المفاهيم الإسلامية للثورة[*] (Islam concepts of revolation) لدراسته

---

[1] ينظر: لويس برنارد، الحشاشون فرقة ثورية في الاسلام، ص34-35.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص35.

[3] المصدر نفسه، ص135.

[4] المصدر نفسه، ص 17.

[*] صدر عام 1972م مجلداً اشرفت عليه مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بعنوان الثورة في الشرق الاوسط (Rovolution the middle east) من تحرير ب.ج وفاتيكوتيس(B.G.Fatycotiis), الذي لم تكن عقليته الاستعمارية تحب الثورة ولا العرب , فان فاتيكوتيس عنده عبارة موضوع جدل وهي :- (ان الثورات تدمر للبشر والمبادئ, وان الايديولوجيا الثورية كلها تناقض, بل وتشمل هجوما مباشرا على التكوين العقلاني, والبيولوجي(Biological), والنفسي للإنسان, فالسياسة عند الثوريين ليست مسالة عقيدة , ولا هي بديل عن العقيدة الدينية, وانما نشاط للتكيف مع العصر من اجل البقاء , فعقيدة الثوري لا تقبل القول بان السياسة جعلت لخدمة الانسان, بل يقول بان الانسان ما وجد لينشئ نظاما ابتدعه السياسة وفرضته فرضا وحشيا,

لثورة في الإسلام الذي استقاه من الأَصل الاشتقاقي للكلمة بقوله "كانت المدن التي تنطق بالعربية الفصحى تطلق كلمة مختلفة على هذا المصطلح وهو (ثورة) , ومادة (ثَوَرَ) في العربية كانت تفيد النهوض مثلها ينهض الجمل أَو الهيجان أَو الانفعال , ومن ثم صارت تعني , في الاستعمال الغربي التمرد(Insurg ency) وكثيراً ما استخدمت في سياق انشاء سيادة أَو سلطة مستقلة, وهكذا كان من يسمون أُمراء الطوائف الذين سيطروا على الحكم في إسبانيا في القرن الحادي عشر بعد انهيار الخلافة في قرطبة يطلق عليهم الثوار والمفرد ثائر"[1].

والجدير بالذكر: أَنَّ برنارد لويس استفاض في دراسته للثورات التي وقعت في التاريخ الإسلامي مثل الثورة الاسماعيلية ذات الطابع الثوري والثورات في جنوب العراق وثورة الفلاحين في بلاد فارس[2].

ويضيف "وكان مصطلح (ثورة) يعني الانفعال والهيجان اول الامر, على نحو ما جاء في الصحاح , وهو المعجم العربي الذي اعتمد في العصور الوسطى, والمثال (انتظر لكي تسكن هذه الثورة), وهي نصيحة مناسبة إلى حدّ ما . ويستخدم الايجي (Aegean) المصطلح كفعل في صورة ثوران أَو إثارة فتنة لأَجل ذلك من الأَخطار

وكل ما يدعو اليه الثوري وحشي, وغير عقلاني, ومخدر وشيطاني), لقد كان لبرنارد لويس اسهامات في هذا المجلد , اذ نشر بحثه فيه بعنوان المفهومات الاسلامية للثورة(The Islamic concept of revolution) ينظر: ادوارد، سعيد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق،ترجمة محمد عناني،رؤية للنشر والتوزيع،مصر،القاهرة،ط1، 2006م ص475.

[1] لويس برنارد، المفهومات الاسلامية للثورة، نقلا عن: ادوارد سعيد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ص478 .

[2] ينظر: لويس برنارد، العرب في التاريخ، نقله الى العربية: نبيه أمين فارس ومحمد يوسف زايد، دار العلم للملايين، لبنان– بيروت، ط5، 1954م، ص149–150.

التي ينبغي أَن تمنع أحد من عمل الواجب الذي يقضي بمقاومة الحكومات الظالمة"[1]، وأعاد المقولة نفسها في مقالته ثورة الإِسلام (Islam revolation) [2].

عقب إِدوارد سعيد في تحليل مفهوم الثورة عند لويس بقولة: "الفقرات كلها مليئة بنبرات التعالي وسوء القصدية, فلماذا الكاتب – يقصد لويس – يزج بفكرة نهوض الجمل بعدّها دليلاً على الأصل الاشتقاقي للكلمة, الا من أجل تشويه سمعة الثورة؛ ولذا دفع لويس إِلى هذا الحطّ من المكانة العالية التي تتمتع بها الثورات, بحيث لا تزيد شرفًا ولا رفعةً عن جمل يوشك أَن ينهض من مكانه, وهو يقرن الثورة بالانفعال والهيجان وإِقامة سلطة تافهة لا اكثر , أي ان الحركات الثورية لا تزيد أَهميتها عن نهوض الجمل, ولا تستحق اكتراثًا أَكثر من تخاريف لا قيمة لها"[3] .

ويؤكد سعيد أَنَّ التشبيه الذي يقدّمه لويس بين الثورة ونهوض الجمل أَو الهيجان, لا بالكفاح من أجل القيم, وكذلك يصوّر الإِنسان العربي في صورة لا تزيد أكثر عن صورة كائن عصابي , فكل كلمة يستخدمها لوصف الثورة ممزوجة بلون جنسي مثل الاثارة والهيجان [4].

المطلب الثاني: الرؤية المعاصرة للثورات في العالم العربي الإِسلاميّ:

حاول لويس تشبيه الثورات المعاصرة في العالم العربي والإِسلامي بالثورات التي حصلت في التاريخ الإِسلامي, بقوله "ان هذه الثورات تحمل نفس المثالية والعنف منذ عصر الحشاشون والقرامطة, وصولاً إِلى عصر مهدي السودان(Mehdi Sudan) [*] وشامل داغستان(Chamal Dagestan)"[**] [1].

---

[1] لويس برنارد، المفهومات الاسلامية للثورة، نقلا عن: ادوارد سعيد، الاستشراق والمفاهيم الغربة للشرق، ص478 .

[2]Lewis , B, From Babel To Dragomans, oxford, new York, university press, 2004 , p.299.

[3] سعيد، ادوارد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ص 479.

[4] ينظر: سعيد، ادوارد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ص 479–480

[*] مهدي السودان: وهو محمد المهدي عبدالله الفحل (1843– 1885) زعيم سوداني وشخصية دينية، ثار على الحكومة المصرية في السودان وأنهى حكمها في (السودان) وقتل حاكمها العام غوراون باشا، اتبعه الكثير من أهل السودان وسماهم الأنصار توفي بعد استيلائه على الخرطوم

ويضيف لويس, أنّ العنف والمثالية نفسه في المنظمة الإيرانية التي تسمى فدائيي إسلام(Fdyaat Islam) الَّتي أرجعت تعبيرا استعملوه مبعوثو شيخ الجبل(gerybear barrow) (***), فهم يؤمنون بفكرة عن الوحدة الإسلامية , وتتمثّل نفس الصورة عند الاخوان المصريين[2].

يتبيّن أَنَّ لويس متأثر باطروحات لويس ما سينيون عندما قال: "ان الدين الإسلامي هو إرادة للعيش المشترك, وأَنَّ الدين الإسلامي هو من الناحية التاريخية , حضارة وثقافة ودين"[3]، وهذا ما ذهب إليه لويس, عندما سؤل:– ما هو الفرق بين الحركات السياسية التي ظهرت في القرون الوسطى من الحضارة الإسلامية والحركات السياسية المعاصرة ؟ فأجاب :– "لا اعتقد أَنَّ هناك فرقًا في ظهور

بأشهر قليلة وانتهت دولته بالغزو الانكليزي المصري على السودان وقتل خليفته التعايشي. ينظر: عبد الودود شبلي،الاصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، مكتبة القاهرى،مصر، القاهرى،2001م، ط1 ص4–11.

(**) شامل داغستان: عرف باسم الامام شامل (1797–1871) , قائد وسياسي ديني افاري في شمال القوقاز, واحد المقاومي للوجود الروسي في القوقاز ولد في قرية غيمري الداغستانية, وهو ثالث ائمة الشيشان وداغستان من1843–1859 لقب بأسد القفقاز, وصقر الجبال. ينظر: ابو عبدالله عيسى الشامي،سيرة الهمام اسد القوقاز الامام شامل الداغستاني،كنوز الاندلس،السنة بلا،ص6–8

(1) لويس، برنارد، الغرب والشرق الاوسط، تعريب: نبيل صبحي، بلا طبع، 1995م، ص171.

(***) شيخ الجبل:– تسميته اطلق على الاسماعيليون النزاريون وكذلك على الشيخ حسن الصباح, الذين سكنوا الجبال وحولوا منطقهم الى بساتين كانت اكبر واجمل ما رأته اعين الناس في ذلك الوقت, اكتنزت بكل انواع الفاكهة وانتصبت في هذه البساتين اجمل القصور، لقد رغب الشيخ في جعل شعبه يصدق ان هذا المكان هو الجنة بام عينها. ينظر: العمري, بارق, المؤامرات حقيقة ام نظريات, مطبعة الاهرام، مصر, ط1، 2007، ص 118.

(2) سعيد،ادوارد،الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ص176

(3) اركون، محمد، ولؤي غارديه، الاسلام بين الامس والغد، ترجمة: علي المقلد، الناشر دار التنوير للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006م، ص8.

الحركات الإسلامية؛ لأنَّها تنطلق من المرجعيات نفسها وهي ثورية "[1]؛ لكونهم يعتمدون تشريعاً إلهياً واحداً [2].

ففي العصر الحديث نجده يشبّه ويخلط بين الثورات الإسلامية والثورات القومية, وكان رأيه في ذلك بقوله: "عندما اكتسبت القومية العربية طابعاً شعبياً حقيقياً, قلّ شعورها القومي وازد شعورها الديني, وبعبارة أُخرى تناقص طابعها العربي, وزاد طابعها الديني, وخاصة في أوقات الازمات"[3].

إنّ هذه التصورات أظهرها لويس في كتابته الأَوَّلى ففي كتابه (العرب في التاريخ) نراه يشبه الثورات القومية بالثورات الإسلامية بقوله: "ترجع هذه الحركات- الإسلامية- إلى أُصول بعضٌ منها اقتصادية واجتماعية وكان لبعضها صبغه قومية, على الرغم من تباين ظروفها واسبابها، فقد كانت تشترك بكونها متشحة بثوب ديني"[4]. ويضرب مثلاً على ذلك بقوله "في شهر نوفمبر 1945م قامت المظاهرات في مصر على أَثر إعلان وعد بلفور احتجاجاً على الامبريالية"[5].

ويضيف "في يوم نوفمبر 1945 دعا القادة السياسيين في مصر إلى مسيرات وتنظيم مظاهرات بمناسبه الذكرى السنوية لإعلان بلفور, وسرعان ما تطورت هذه المسيرات والمظاهرات, فأصبحت احداث عنف فقد هاجم المتظاهرون كنيسة أرمنية وكاثوليكية و ارثدوكسية, وأحدثوا فيها أَضرارًا كبيرةً, أ ليس لنا ان نسال ما هو شأن الكاثوليك والأرمن الأرثدوكس بإعلان وعد بلفور؟!"[6] .

---

[1] ينظر: لويس، برنارد، مقابلة، العرب والاسلام والغرب والظروف الراهنة، مجلة التسامح في 2003/4/28م، العدد45، منشورة على الموقع الالكتروني: www.altsaman.net.

[2] ينظر: المصدر نفسه.

[3] لويس، برنارد، عودة الاسلام، مقالة، نقلا عن: زكاري، لوكمان، تاريخ الاستشراق وسياسته، الصراع على تفسير الشرق الاوسط، ترجمة: شريف يوسف، دار الشرق للطباعة والنشر، مصر- القاهرة، ط1، 2007م، ص287.

[4] ينظر: لويس، برنارد، العرب في التاريخ، ص138.

[5] Lewis ,B,From babel to dragomans .oxfod,new uork ,university,prss,2004,p,299

[6] لويس، برنارد، الغرب والشرق الاوسط، ص147.

يحلّل إدوارد سعيد كلا النصين بقوله : " ان المظاهرات قامت في محاولة منه ليبين الولاء الغريزيّ، أَمَّا في الصورة الثانية فكان (القادة السياسيون) وهما المسؤولين المباشرين في ذلك بمناسبة الذكرى السنوية لإصدار الحكومة البريطانية لإعلان وعد بلفور, الَّتي تطورت بسرعة وصارت اعمال عنف معادية, وإذا بالشعب يتحول إلى شعب يعادي اليهود"[1].

ويضيف لويس "في عام 1952م في مصر تعاون الحكم العسكري والإخوان المسلمون (Muslim Brotherhood), ولكن بعد مدّة من الالتحام بينهم تدهورت العلاقات بسرعة, وفي 26 تشرين الأَوَّل اكتوبر سنة 1954 أُجرت محاولة فاشلة لقتل الكونيل جمال عبدالناصر"[2].

بهذا عدّ لويس ان التضامن الديني عند المسلمين جزءًا غريزيًا من طبيعتهم، وهذا بسبب الحضارة والثقافة الدينية التي ينتمون إليها[3].

المبحث الثاني

الثورات في العالم الإسلامي من الكونية إلى التنظير السياسي حسب وجهة برنارد لويس

المطلب الأَوَّل: كونية الثورة في الإسلام:

حاول لويس في هذا الاتجاه إعطاء صورة كونية للثورات الإسلامية المعاصرة وتشبيهها بالثورة الفرنسية والثورة الروسية بقوله: "إنَّ الثورة في العالم الإسلامي المعاصر مثل الثورات الفرنسية والروسية التي تتشابه في عدّة نواحي؛ لأَنَّها أَدَّت إلى تأثير هائل ليس في مكان حدوثها فقط أَو بين شعبها بل وبين كل البلدان والشعوب التي تشترك معها في خطاب كوني, ومثل الثورتين الروسية والفرنسية في أَيَّامها اضافة حماساً وأملاً كبيرين ومثل تلك الثورتين كانت الثورة

---

[1] سعيد، ادوارد، الاستشراق والمفاهيم الغربية للشرق، ص481.

[2] لويس، برنارد، الغرب والشرق الاوسط، ص174.

[3] Lewis , B, From Babel To Dragomans , p.301

الإسلامية في إيران؛ إذ كان لديها بلاشفتها[*](Bolsheviks) ورهبانها، وكان لها أنصارها الخاصين من الذين يتشبثون بسبلٍ شتّى إلى إعلاء الثورة أو على الأقل النظام الذي يراه أنَّه يمثلها"[1] ففي مقالته اعداء الله (The Enemies of cod) لم يكتفِ بالقول إنَّ الثورة الإسلامية لها بلاشفتها ويعاقبتها بل وضّح آراءً جديدة في هذه المقالة؛ إذ كشف أنَّ الثورات الإسلامية امتازت بالحماسة الشرسة والقواعد الجامدة والعنف الدموي, ففي بداية الأمر تأثرت الثورة في العالم الإسلامي بالثورة الروسية والثورة الفرنسية, وتعكس النموذج الاستاليني والنابليوني, ولكن عندما وصلت إلى الذروة فإنَّها عكست حربها ضد اعداء الله, فإذا كانت الثورة الفرنسية قد عُرفت ايديولوجياً واجتماعيًا واقتصاديًا بالثورة المضادة, فان الثورة في العالم الإسلامي تُعرف بمصطلح وحيد وهو (إعداء الله) يطغي على المجتمع إيديولوجياً واقتصاديا في آن معاً [2] ففي سنة 1979م بدأت في إيران مجموعة من الأحداث أدَّت إلى تغييرات كبيرة لا في نظام الحكم فقط بل في النظام الاجتماعي للدولة، وأثَّرت في بعض من عواقبها ونتائجها فيما وراء الحدود الإيرانية, ولقد سمّى من قام بهذه التغيرات بالثوريين ووافق كثير منهم في الخارج عن هذه التسمية[3] .

وأشار لويس"تعبر الثورات عن نفسها بشكل مخالف ولكل منها طرائقها الخاصة بها في صياغة تقييمها للماضي وطموحاتها للمستقبل, فالثورة الفرنسية بخلفيتها الايديولوجية عبّرت عن تنوير القرن الثامن عشر وصاغت تعبيراً (الحرية, والاخاء, والمساواة) والثورة الروسية في القرن التاسع عشر صاغت خططاً للمستقبل

---

[*] البلاشفة: هم الاشتراكيون الديمقراطيون الثوريون وعلى راسهم لينين، وفازوا بالاغلبية في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي والديمقراطي الروسي في اب 1903 ومن هذا جاءت تسميتهم من كلمة (بولشينتفو) انصار الجناح ودعى حضورهم انهم انصار الجناح الانتهازي في الحزب (المناشفة). ينظر: زيتون، وضاح، المعجم السياسي، ص77.

[1] Lewis, B, From Babel to Dragomans, p.313.

[2] Ibid, p.306

بمصطلحات عن الدولة اللاطبقية التي تُدار من البروليتاريا[*], أَمَّا بخصوص الثـــورة الإيرانية فقد قدمت نفسها بمصطلحات عن الإسلام تعترف بأَنَّها حركة دينيـــة, وذات منطلقًا دينيًا, وصياغة نقدية دينية لكل نظام قديم, وذات تعبير ديني, يخطط للحاضر, فقد نظرت الثورة الإسلامية في إيران إلى الإسلام كنموذج لها كما عدّوا أَنفسهم أُناس مهيئون للنضال ضد الامبريالية والكفر والطغيان, من أجل تأســيس نظــام اســلامي حقيقي"[1].

وأكد لويس إلى أنّ افكار الثورة الفرنسية صداها في الادب والفكر التركي والعربي[2]، ومن أَبرز مميزات الثورة الفرنسية هي التوغل داخل أَراضي العالم الإسلامي، التـــي أَثَّرت على التفكير الإسلامي, وكانت هذه الحركة التي حطّمت الحدود الفاصـــلة بـــين عالم الكفار وعالم الإسلام[3] وأشار "بعدما انتشرت الحروب الثورية في اوروبا امتدت إلى أَفريقيا وعلى أَكثر خصوصية إلى آسيا عن طريق القوة"[4].

وذكر لويس أنَّ " لم يكن التأثير الغربي مقتصراً على تركيا فقـــط, إذ يمكـــن رؤية هذا التأثير أيضاً في إيران, وحتى في المشرق العربي"[5] ويشير ان من أَبـــرز

---

[*] البروليتاريا: وهو مصطلح ظهر في القرن التاسع عشر ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك انجلز يشير فيه الى الطبقة التي ستتولد بعد تحول اقتصاد العالم من اقتصاد تنافسي الى اقتصاد احتكاري، ويقصد كارل ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل انتاج وتعيش مع بيع مجهودها العضلي او الفكري. ينظر: الموسوعة الحرة ينظر:وضاح زيتون،المعجم السياسي,دار اسامة للنشر والتوزيع، الاردن عمان,ط1, 2010، 74-76

[1] لويس، برنارد، لغة السياسة في الاسلام، ص9.

[2] ينظر: لويس، برنارد، ازمة الاسلام الحرب المقدسة والارهاب غير المقدس، ترجمة: عمار أحمد حامد، دار الرضا للنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، ط1، 2006م، ص 64.

[3] ينظر: لويس، برنارد، اكتشاف المسلمين لأوربا، ترجمة: ماهر عبدالقادر، المكتبة الاكاديمية، مصر- القاهرة، 1996م، ص 60.

[4] لويس، برنارد، اين يكمن الخطأ صدام الاسلام والحداثة في الشرق الاوسط، دار الرأي للنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، ط1، 2006م، ص35.

[5] لويس، برنارد، اكتشاف المسلمين لاوربا، ص 285.

أسباب ظهور الثورات في العالم الإسلامي هو الاحتلال وخاصة الاحتلال الإنكليزي [1].

ولويس يعتقد ان التاريخ الإسلامي قدم كثيراً من الثورات منها الفاشلة والناجحة, والبعض الآخر استطاع ان يُبعد تأثر الثورة الفرنسية والثورات الأُوربية عليه فصار له لغة سياسية خاصة به[2]، ويتطرق لويس في دراسته للثورة في العالم الإسلامي بعدم تأثر المسلمين بالثورة الامريكية، وفي المقابل تأثروا بالثورة الفرنسية, وحتى في أَدبياتهم لم نجد سوى القليل من العناية بالثورة الأَمريكيَّة؛ إِذ إِنَّه لم يذكر في صحف زمانها, فلم يتطرّق اليها سوى كاتب في عام 1883م وهو (رفاعي رفعت الطهطاوي) فقد وصف أَمريكا بأَنَّها دولة تتألف من مجموعة أَقاليم وجمهوريات، فسكانها قبائل قدموا من أَنكلترا وسيطروا على تلك الأَرض, ثم حرَّروا أَنفسهم من قبضة الإِنكليز فصاروا أَحرارًا[3].

والسبب الذي يبينه لويس بعدم تأثّر المسلمين بالثورة التي وقعت في امريكيا وتأثروا بالثورة التي وقعت في فرنسا؛ لأَنَّه ينظر إِليها –الثورة الفرنسية– من موضع الارتياب على الرغم من تخليها عن امبراطوريتها في افريقيا وآسيا, فالعيون لا تنظر اليها كدولة مُسْتَعَمِرَةَ (سابقة) بل كدولة مُسْتَعَمَرَة, تحاول العودة إِلى ممارسة السيطرة والاستعمار, أَمَّا أَمريكا فكانت مُسْتَعَمَرةَ الَّتي حصلت على حريتها بعد الثورة من الامبريالية الانكليزية, لذلك فإنّ المستقبل على عكس من ذلك, فالدول ستقلد أَمريكا في ثورتها، وسوف ترتبط معها برباط طبيعي من العطف والمودة [4].

المطلب الثاني: التوجهات الثورية في الإِسلام وأثرها على التنظير السياسي في الغرب

---

[1] ينظر: لويس، برنارد، لغة السياسة في الاسلام، ص 138.

[2] ينظر: لويس، برنارد، لغة السياسة في الاسلام، ص 146.

[3] ينظر: لويس، برنارد، ازمة الاسلام الحرب الأقدس والارهاب المدنس، ترجمة: حازم مالك محسن، ترجمة: دار عدنان للطباعة، العراق– بغداد، ط1، 2013، ص 60.

[4] ينظر: لويس، برنارد، الغرب والشرق الاوسط، ص 202–203

حاول لويس في دراسته للتوجهات الإسلامية لمنطقة الشرق الأوسط, الّتي لم تصير مميَّزة أكاديميًا فحسب بل باتت ضرورة سياسية ؛ لما لهذه الدراسات من تأثير بالغ على مستقبل الشرق الأوسط؛ إذ يقول: "في يومنا هذا اعتنق اعداد متزايدة من الشرق اوسطيين المخدوعين بالماضي والشّاعرين بالنفور من القادة الحاليين في الكثير من الدول العربية والإسلامية, احدى هاتين الاصولية الإسلامية والديمقراطية الليبرالية, وتوفر كل عقيدة تشخيصاً لأمراض المنطقة ووصفة علاجية"[1] فتتميّز الأُصولية الإسلامية في هذا الصراع بعدّة مميزات, فهي تستخدم لغة مفهومة وشائعة وتجذب إعدادًا كبيرة من الناس في بلاد الإسلامية, ففي زمن الفقر الاقتصادي والاضطراب السياسي يكون الكثير منهم مستعدين للإيمان بأنّ هذه الشرور نتيجة لمؤامرة غربية وكافرة, وبأنَّ العلاج يكمن في العودة إلى النهج الإسلامي الأساسي والأصلي, ويمتلك الأُصوليون تفوقاً كبيرًا على سائر القوى التي تعارضها, فالأُصوليون يستخدمون المساجد وينشؤون فيها شبكة لعقد التواصل والاتفاق, فلا يمكن لأكثر الحكومات قوةً أن تقمعها أو تسيطر عليها تماماً[2]، أمَّا الديمقراطيون فيقدّمون برنامجًا ولغة غير شائعين وغير مفهومين بالنسبة إلى الكثير من الناس، ويعاني هؤلاء من وضع غير مؤات، فمصطلح الديمقراطية والاحزاب والبرلمانات التي تعمل على تطبيقها تختلط في أعين الكثير من المسلمين بسبب الانظمة غير الكفوءة والفاسدة الّتي استخدمت هذه الاسماء في الماضي, وفي هذه الاثناء لا تزال الدعوات باسم الله لتنظيم المجتمع بالعودة إلى القانون الالهي، فلا يمكن للديمقراطيين الحصول عليها, وخاصة في حججهم وأمثلتهم ومفرداتهم لا تزال غريبة، فمصطلح الديمقراطية الدخيل على العربية يفتقد الرونق الذي تتميز به كلمة الشريعة [3].

---

[1] لويس، برنارد، مستقبل الشرق الاوسط، الناشر: شركة رياض الريس للكتب والنشر، لبنان– بيروت، ط1، 2000م، ص 28.

[2] ينظر: لويس، برنارد، مستقبل الشرق الاوسط، ص 29.

[3] ينظر: المصدر نفسه، ص 30.

ولهذا سوف تصل التوترات إلى مستويات حرجة وسوف تستمر المشاكل إلى اليوم الذي لا تعود فيه احتياطات النفط متوافرة [1].

ويؤكد: على أَنَّ "الأَجيال الحاضرة والتالية ستواجه في الشرق الأَوسط مستقبلًا قاتمًا"[2] وكذلك المستقبل الأَسود ينتظر العالم خاصة في الجزء الذي يعتنق الإسلام[3] وبهذا فإنَّ الاتفاق مع القومية العربية امر جيد, لكن حتى القادة القوميين عرضة للزوال[4].

ويشير: أَنَّه "ليس من الممكن سحق المعرضة العربية جميعها, ولا التسليم بكل مصالحهم وإنّ استعمال احدى الطريقتين منفردة لن تؤدي إلى التقدم لمصالح الغرب في العالم العربي"[5].

ولكن في الشرق الأَوسط هناك حيّز من الإمكانيات المستقبلية التي يمكن الاختيار من بينها, فعلى احدى طرفي النطاق يمكن التعاون والتقدم نحو التنوير والحرية والسلام والازدهار, بينما تقع على الطرف النقيض حلقة من التسلط والفقر والجهل والخوف والضعف والفوضى والانشقاق على الذات, وكلها تؤدي في النهاية إلى سيطرة غربية جديدة مُحّكمة[6].

فإنَّ الشرق الأَوسط حسب لويس سرمدي أَزلي لا شيء يتغير ولا شيء سوف يتغير والأُصولية الدينية هي وحدها تفتح بصيص الأَمل في إحداث التغيير[7].

إذ يرى: في استشرافه لمستقبل الشرق الأَوسط "ان دعوة الإسلاميين للديمقراطية دعوة خادعة, وأَن دعوتهم إليها هو بهدف الوصول إلى سدّة الحكم"[1].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص 133.

[3] ينظر: لويس، برنارد، ازمة الاسلام الحرب الأقدس والارهاب المدنس، ص120.

[4] ينظر: لويس، برنارد، الغرب والشرق الاوسط، ص 221-222.

[5] المصدر نفسه، ص 222.

[6] ينظر: لويس، برنارد، مستقبل الشرق الاوسط، ص134.

[7] ينظر: سعيد، ادوارد، تعقيبات على الاستشراق، ترجمة وتحرير: صبحي حديدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان- بيروت، ط1، 1996م، ص2.

وهذا يعني أَنَّ الحركات الدينية الراهنة ليست سوى تعبيراً عن استثمار الفكر المتشدد القديم وعجزه عن التفتح على عصر جديد, وأَنَّ هذا التعصب يعكس حقيقة الفكر الإسلامي بل الإسلام نفسه[1].

وهكذا يلخص لويس التاريخ الإسلامي ببساطة, فلا يميز بين المسلمين في عصر الفتوحات الإسلامية والمسلمين المعاصرين, ولا يميز بين موقف الدول الإسلامية بعضها عن البعض الاخر أَو بين مواقف الدول الإسلامية تجاه دول عدوة أَو صديقة سواءً أكانت غير مسلمة أَو مسلمة.

وبهذا يمكن القول إنَّ لويس كان قد أَصاب حينما أَشار: إلى حدوث أول ثورة في الإسلام، وكذلك اصاب عندما أشار إلى أَنَّ الثورة في الإسلام وجدت مقلديها في العصر الحديث؛ لأَنَّها وضعت الأُطر العامة لمفهوم الثورة، كون التغيير، موجود في العالم الإسلامي منذ بداية التاريخ الإسلامي ومستكينٌ فيه وراء المفاهيم الإسلامية، ولكن هل تناسى أَو نسي لويس عندما حاول أن يشبّه الثورة في الإسلام بالثورات الغربية وغيرها، أَنَّ أَوّل ثورة في تاريخ البشرية جاءت على يد الرسول (ﷺ)، فهي ثورة حققت التغيير الجذريّ في كافة الميادين واهمها في الفكر والعقيدة، وهل تناسى لويس ان الثورة في فرنسا كانت ضد رجال الدين والكنيسة، أَمَّا الثورة في الإسلام فكانت من أجل العودة إلى الدين الحقيقي، في الحقيقة ان الازدواجية التي وقع فيها لويس تعود إلى التحيز والقصد الذي يملي عليه وكذلك أنكار مفهوم الثورة في الإسلام وتشبيهها بمصطلحات غير لائقة، فما هي إلَّا أنكار مفهوم الثورة والنابعة من نظرة من زاوية واحدة، فهي رؤية ايديولوجية يراد منها التقليل والطعن بالثورة في العالم الإسلامي المعاصر.

وإذا ما رجعنا إلى الثورة في الإسلام عند لويس وجدناه يفسّرها كأنها ثورة الغرب. ففي عالم الغرب ثار الناس على سلطة رجال الدين والكنيسة ولكنهم اعطوا ظهورهم للدين، وليس فقط لرجال الدين ولسلطة الكنيسة، ومن هنا نشأت

---

[1] ينظر: غليون، برهان، نقد السياسة، الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2004م، ص229.

العلمانية، اما في الإسلام فإنَّ المسلمين كانوا يفرقون بين السلوك الذي يتبعه الحاكم الظالم وبين الإسلام؛ لأنَّهم يؤمنون إيماناً جازماً ان التبرؤ من الحاكم الظالم أياً كان ظلمه ليس هو تبرؤ من الإسلام وعقيدة الإسلام، وأنَّه ليس من الصواب أن نحمّل الإسلام أخطاء اتباعه حتى لو كانوا حكاماً، ولذلك عُرف في التاريخ الإسلامي مفاهيم كثيرة مقاربة للثورة منها التجديد والتغيير والاصلاح، فقد كان الاصلاح والتغيير الإسلامي فعلاً متواصلاً ومستمراً مع القيم التي حاد عنها معظم الحكام، ويضاف إلى ذلك أن الإيديولوجية التي حكمت البلاد العربية في العقود الماضية صارت خارج قوس، فقد فقدت مصداقيتها، وحل محلها إيديولوجيا أُخرى ما هي إلَّا تعبيرًا عن المعرفة والواسعة في السياسة، وكذلك تتبع لمجريات الأَحداث.

أَمَّا بخصوص تصوراته عن مستقبل الشرق الأَوسط الذي يرى فيه_ كما أَشرنا سابقا_ فإنَّ الشرق يواجه مستقبلاً قاتمًا، وإنَّ المشكلات سوف تستمر، إنَّ هذه الرؤية ما هي إلا تنظير سياسي لصناع السياسة العالمية الذين يريدون من الشرق الأَوسط أن يصير منطقة صراع وصِدَام.

الخاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج توضح ذلك التصور الغربي للثورات العربية وفقا لرؤية برنارد لويس ويمكن إجمال تلك النتائج على الشكل الآتي:

1- لقد سعى لويس لتحليل مفهوم الثورة في الإسلام وفق افتراض مسبق، وهذا يُعدُّ خطأ في البحث العلمي، فهو في الحقيقة يحدد هدفه بشكل مسبق فيصير بحثه مجرد ذريعة لتبرير ذلك الواقع فيستنطق ذاته، ثم يلوي عنق الأحداث لكي تنسجم معها وهو الخطأ الذي وقع فيه لويس.

2- إنَّ قراءة لويس لمفهوم الثورة في العالم الإسلامي أراد أن يسوق فكرة مفادها أن التعايش بين الشرق والغرب كانت منذ البداية تعايشاً إشكالياً، وإن العالم الإسلامي والشرق الأَوسط هو منطقة صراع وصِدام ونزاع وانفصال، وأَنَّ الدين الإسلامي هو العدو الذي يجب الخوف منه مستقبلاً، وبالتالي يقدم تبريراً لإدارة الهيمنة الغربية على الشرق الأَوسط .

3- **ان بعض من طروحات لويس حول الثورة في العالم العربي والإسلامي روج لها الإعلام الغربي، كون كتاباته أثبتت قدرة كبيرة من العلم والدراية حول العرب والإسلام، كما كشفت كتاباته عن موسوعة هائلة في البحث في التاريخ العربي والإسلامي، فقد اختار المناسب منها لفكرته المطروحة، ثم قام بتشريحها وتقديمها للقارئ الغربي كمادة ثقافية جذابة.**

References

- Zaytoun, Waddah (2010) **The Political Dictionary,** Dar Al-Mashreq, Amman, Jordan,
- Mutabaqani, Mazen Salah (1999) **The Orientalist Bernard Lewis Approach to Studying Intellectual Aspects in Islamic History**, Kingdom of Saudi Arabia, Publisher: Imam Muhammad bin Saud University, Riyadh, Saudi Arabia, 1st edition,
- Lewis, Bernard, **The Assassins, a Revolutionary Squad in Islam,** translated by: Muhammad al-Gharb Musa, Madbouly Bookshop, Egypt - Cairo, 2nd edition, 2006
- Edward Said, **Orientalism and Western Concepts of the East**, translated by Muhammad Anani, Vision for Publishing and Distribution, Egypt, Cairo, 1st Edition, 2006
- Louis Bernard, **Islamic Concepts of the Revolution**, quoting: Edward Said, Orientalism and Western Concepts of the East.
- Louis Bernard, **The Arabs in History**, translated by: Nabih Amin Faris and Muhammad Yusuf Zaid, Dar Al-Ilm for Millions, Lebanon - Beirut, 5th edition, 1954 AD.
- Abd al-Wadud Shibli, **The Intellectual Origins of the Sudanese Mahdi Movement and His Call**, Cairo Library, Egypt, Cairo, 2001 AD, 1st edition.

Western Vision about the Islamic World Revolutions: An Analytical Study in the Political and Philosophical Thought of Bernard Loui

Hussain Thanoun Al-Allaf *

Abstract

Bernard Lewis is considered one of the most prominent figures of (Anglo-American) Orientalism. He has written about Islamic history and Islamic movements. His writings on play and Islam have gained privacy in the Western world, and in Orientalist and political studies.

The subject of revolution in the Islamic world was one of his most important thesis, in some aspects of which he sought to define the relationship between East and West in general, and Islam and the West in particular. In his analysis of the concept of revolution in the Islamic world, he proceeded from tracing the development of the concept by tracing it in the literature of Islamic movements that appeared in Islamic history and contemporary Islamic movements, and its information was characterized by extensive intellectual know-how, but in return it was characterized by generalization, and this is due to the selectivity that occurred in the methodology of Orientalism. In general, in line with basic trends, not academic. Some media networks in the West helped to promote Lewis's propositions, which now cover most parts of the world, benefiting from the revolution of information and high-tech communications, which focused on an idea derived from Lewis that Islam is the next enemy that threatens the world.

Key words: Bernard Louis, The Western, The Revolution, The Islamic.

* **Lect/Department of Philosophy/College of Arts/University of Mosul.**